# فلسفة التأريخ بين خط النبوة و حركة الأمم
# في ضوء النص القرآني
# قراءة تحليلية

**المدرس المساعد**

**حسين كاظم الزاملي**

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وحبيبه المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه المنتجبين .

من المهم جدا التعرف على حقيقة التأريخ وفلسفته من منظار قرآني ، وذلك لأن التأريخ الذي أستعرضه النص القرآني كان عبارة عن حركة فاعلة ومستمرة ، تبين حركة الأنبياء "عليهم السلام" في محيط الأمة ، فضلا عن حركة الشيطان في ذلك المحيط ، كما وتبين حركة الأمة السلوكية بين هذا وذاك والنتائج المترتبة على ذلك التفاعل مع الحركتين ، وبصورة أخرى سلوك الإنسان بين مساعي النبوة وتضليل الشيطان والنتائج التي بنيت على ذلك التفاعل، وكان على ذلك الإنسان أن يختار الطريق الذي يسلكه ، وبسبب ذلك الصراع وسلوك الفرد والأمة نتجت انهيارات عظيمة في منظومة الوجود الامي وحدث تساقط حضاري مروع بفعل تدخل إلهي ، وقد تحدث النص القرآني عنه كثيراَ ، وكان للتطور البشري ونموه في اتجاهات مختلفة أثر في ذلك ، إذ ( إن تأريخ الفكر البشري بدء مع بداية الإنسان وهو في تقدم حتى نهاية التأريخ ، فأينما حل الإنسان فأنه كان يحمل معه التفكير بعنوان أنه ميزة لا تنفصل عنه )[1] ، وبهذا المستوى من التفكير حاول الإنسان أن يجد نفسه وان يتحرك ليكيف وجوده ضمن تلك البيئة المتغيرة والقاسية ولا غرابة حين يعرف التأريخ بأنه ( دراسة التطور البشري في جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية ، أي كانت معالم هذا التطور وظواهره واتجاهاته )٢ ، أو هو ( حركة الشيء في محيطة خلال الزمان وبعبارة أخرى : التأريخ هو عملية التحول والتغير والانتقال " الصيرورة " من حالة إلى حالة التي تعتري الشيء أو ينجزها الشيء من

خلال علاقته بعناصر محيطه عبر الزمان)٣ فهو على ضوء ذلك ( علم يعنى باكتشاف القوانين الحاكمة على التاريخ ، لتقنيته واكتشاف العلاقة بين حوادثه )٤ ، وقد نال التأريخ الإنساني وحركته أهمية بالغة من العلماء والدارسين والمفكرين وخضع لسلسة من الدراسات الموضوعية ووضعت مجموعة من النظريات لتفسير حركته ، والتي حاولت أن تجد العلاقات المختلفة التي تربط الحوادث ،على أمل أن تخرج بمحصلة يمكن بها أن ترى المستقبل من خلال الماضي ، ويعتقد أن ( الفيلسوف الفرنسي فولتير كان أول من صاغ مصطلح فلسفة التاريخ في القرن الثامن عشر الميلادي من الفلاسفة الأوربيين ، وقد قصد بها دراسة التأريخ من وجهة نظر الفيلسوف ، أي دراسة عملية تحليلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التأريخ من الأساطير )٥ ،ولا تعني هذه المحاولة بالضرورة عدم وجود محاولات سابقة على عهد فولتير لفهم التأريخ بذلك المستوى من التأمل والواقعية والتحليلية ، فمثلا يمكن أن تلمس ذلك القدر من الواقعية والموضوعية لفهم حركة التاريخ في كلمات الإمام علي "عليه السلام " والتي كان يبثها في مناسبات مختلفة ، فالتأريخ عند الإمام علي "عليه السلام" هو ذلك المستوى من التجانس والتداخل بين العوامل المؤثرة في حركته ، والنتائج المترتبة على حركة العوامل ، تأمل قوله وهو يوصي أحد أبنائه ( أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم . بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله )٦ ، فبهذا النص الذي وجهه الإمام علي "عليه السلام " لأبنه الحسن "عليه السلام" وضع حركة التأريخ في دائرة الاستقراء المنطقي فقوله "عليه السلام " فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره" ما كان ليكون إلا بعد مسيرة مضنية من التأمل وقراءة الواقع التاريخي بواقعية وتحليلية منطقية تسمح برؤية المستقبل عبر نافذة الماضي ، وهذا ما عبر عنه "عليه السلام" بـ " نظرت في أعمالهم ، فكرت في أخبارهم

، سرت في أثارهم " فهذه التوليفة من التعاطي مع الحادثة التاريخية هي التي أتاحت للإمام "عليه السلام" أن يكون جزء من الواقعة التاريخية أي كان حجمها " حتى عدت كأحدهم" ، وبهذا الانتماء مع الماضي أراد عليه السلام أن يمد جسور تواصل مع الحاضر لبناء المستقبل ، ولا يبقى أسير الماضي بعقده واهتزازاته المدوية، ولذا ( تحدث كثيرا عن المسألة التاريخية في توجيهاته السياسية وتربيته الفكرية لمجتمعه ، ولرجال إدارته ولخواص أصحابه )٧ ، ولا نريد أن نضع الإمام علي "عليه السلام" في قائمة الفلاسفة فالإمام "عليه السلام" لم يستعرض الموقف التاريخي قاصدا تدوين فلسفة التأريخ بما هي فلسفة ،( بل كان يملك قلبا متعظا ، وكان يشعر بالألفة مع الموت الذي لا يستثني أحدا ، وبهذه الألفة ، كان يرى السالفين والسابقين ليحتل بذلك مكان ومقام الولاية والفخر عند أهل البصيرة والرأي)٨ ، ، ويبدو أن معظم الباحثين في المجال التاريخي وقعوا في فخ توظيف الحادثة التاريخية وجرها إلى ما كانوا يؤمنون به من خلفيات عقائدية وتبرير أعمال الماضين بمجموعة من العلاقات التي تربط تلك الحوادث ، فمثلا لا يمكن مطلقا التفريق بين المذهب العقائدي الماركسي المتمثل بالاشتراكية الشيوعية وبين نظرتهم لعوامل حركة التأريخ ، حيث ولدت المادية التاريخية٩، فالمادية التاريخية وأن تم تسويقها على أنها فهم تحليلي لحركة التأريخ إلا أنها لا تعدوا أن تكون نظرية سياسية تدعم الماركسية الشيوعية وتبرر حركتها التوسعية جاعلة من العامل الاقتصادي العامل (الأساسي في تحولات المجتمع والتاريخ )١٠ ، والذي تتداعى حوله العوامل الأخرى التي تدخل في صناعة التاريخ ، ( ولم تعد هذه الفكرة مقبولة علميا ، والرأي السائد الآن أنه في ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل تؤثر في بعضها تأثيرات متقابلة ، فالعامل الجوهري اليوم يمكن أن يصبح ثانويا غدا )١١ ، وبما أن التأريخ يكتبه المنتصرون ، فأن معظم تأريخ الإنسانية ظل مغلقا ومستعصيا ويعاني من التهميش والتكذيب وكان الدور الأوضح في صياغة الحادثة التاريخية يعود للقوى الحاكمة ، فهي من تسمي عناصر الحادثة وتضع

القوالب الجاهزة لمراحل نمو تلك الحادثة وتسويقها عبر وسائلها الخاصة ، ( وليس عجيبا أن يذكر التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك ، تعكس حرص المؤسسة السلطانية على التصرف في الجهاز المعرفي والثقافي للأمة ، ونزوع حالة من الشمولية تجعل الفكر محكوما برقابة شديدة وتحت رحمة الرغبة الخلفائية ومن هنا تبين كيف أن التحريف لم يخدم فقط الواجهة السياسية بل انعكس ذلك أيضا على فلسفة التاريخ وعلى مناهج التاريخ وشخصية المؤرخ)١٢ ، ولا شك أن هذه الإشكالية تتعلق بصياغة النص التاريخي ومقدار انسجامه مع واقعية الحادثة و ( كثيرة جدا هذه الأسباب التي تحول بين نقاد التاريخ وبين حريتهم فيما ينقدون ، وقد اعتاد المؤرخون أو أكثر المؤرخين بتعبير أصح ، أن يقتصروا على ضروب معينة من هندسة الحياة التي يؤرخونها ، وأن يصوغوا التاريخ صياغة قد يظهر فيها الجمال الفني أحيانا حينما يتوسع الباحث في انطباعاته عن الموضوع ، ولكنها صورة باهتة في أكثر الأحايين ليس فيها ما في دنيا الناس التي تصورهم من معاني الحياة وشؤونها المتدفقة بألوان من النشاط ، والحركة ، والعمل )١٣ ، وهكذا أصيب النص التاريخي بعدم الواقعية مما يجعل الاعتماد عليه في قراءة التأريخ وتحليل عوامل نشأته وفلسفته أمر في غاية الصعوبة ، فتأريخ الإنسان مليء بالحيوية والنشاط والتجدد وهو بذلك يختلف عن تأريخ الحيوان والنبات والجماد ، فهذه العوالم الثلاثة ( خاضعة في جميع حالات وجودها لمبدأ الضرورة ، ومن ثم فتاريخها من جميع وجوهه خاضع لمبدأ الضرورة ، إنه حصيلة حركتها الضرورية في الزمان والمكان ، ومن ثم فـ" الخطأ " غير وارد في تاريخ هذه العوالم ، إنها لا تصنع تاريخها ولذا فهي لا تقع في أخطاء العمل . أما تاريخ الإنسان فشيء أخر . إن الإنسان يتعامل مع الكون على أساس مبدأ الاختيار لأنه كائن حر لا يخضع لمبدأ الضرورة إلا في نطاق العمليات البيولوجية في جسمه ، ومن ثم فإنه يشارك في وضع قوانين حركته في الزمان والمكان)١٤ ، ولذا فأن حركة التأريخ الإنساني تتصف كونها حركة غائية لا سببية ، فهي ليست مشدودة إلى المؤثر في وجودها ولا إلى ماضيها بل هي مشدودة إلى الغاية ، فهي حركة هادفة إلى علة

غائية ناظرة إلى المستقبل ومشتركة في صناعته وليست حركة قهرية كحركة النجوم والكواكب١٥ ، وإذا كانت الفلسفة و( هي العلم الباحث عن أحوال الموجود المطلق أو هي العلم الدارس للأحوال العامة للوجود أو هي مجموعة من القضايا والمسائل المطروحة حول الموجود بما هو موجود )١٦ ، فكيف يمكن من خلالها أن نتفهم حركة الحادثة التاريخية لا على مستوى التنظير والأيدلوجية بل على مستوى تحليل عناصر الحادثة التاريخية وفق منطق قانوني ثابت يتيح للباحث والمؤرخ أن يمد جسور التواصل بين الحاضر والماضي والمستقبل بشكل لا يقبل الظن أو التخمين ؟ ، وهناك من يرى أن أول من حاول أن يجد تلك العلاقة بين الفلسفة بما هي فلسفة وبين التأريخ بما هو تأريخ عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته ، حيث أبتعد عن السرد وحاول أن يسجل ( الأحداث دون ترابط بينهما ، كما قصد بها التعليل للإحداث التاريخية ، وهو ما يميز بين الظاهر والباطن في التأريخ )١٧ ، ولكن بعضهم يرى أن ابن خلدون ( أستمد أفكاره عن التأريخ من إخوان الصفا وذلك من حيث تحديد موضوعه وفائدته وفلسفته)١٨ ، وأي كان الزمن الذي انطلقت به تلك الرؤى والمفاهيم ذات النزعة الفلسفية فأن من الأنصاف القول إنها في نهاية المطاف خضعت لماكينة التوظيف العقائدي ذات المنحى السياسي وابتعدت عن الواقعية والمنطقية بالشكل الذي يجعلنا نتفهم حركة التأريخ بمساحتها الحتمية.

ولاشك إن خير ما يمكن الاعتماد عليه في قراءة المقطع التاريخي وتحليل عوامل نشوء الحادثة والنتائج المترتبة ، ومنظومة العلاقات المختلفة بين الحوادث هو كتاب الله العزيز، كونه **( لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)**١٩ ، وقد أفرز النص القرآني مساحة واسعة للعرض التاريخي ، وتناول السقوط الحضاري وتعرض للأسباب المؤدية له ، كما تفرد في وضع ألأسس المنهجية لفهم حركة التأريخ والعوامل المؤثرة فيه ، فالحادثة التاريخية وفق النص القرآني عبارة عن مجموعة من القوانين والسنن والتي تمتزج وتتداخل لتكون هناك نتيجة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، وبهذا التبني عارض القرآن الكريم الفكر اللاهوتي

الذي يربط الحادثة( بالله سبحانه قاطعا صلتها مع بقية الحوادث ، فهو يطرح الصلة مع الله تعالى بديلا عن صلة الحادثة مع بقية الحوادث التي تزخر بها الساحة التاريخية ، والتي تمثل السنن والقوانين الموضوعية لهذه الساحة )[٢٠]، فالحادثة وإن كانت من الله تعالى إلا أنها لا تكون إلا على نظام قانوني ومنحنى هندسي يربطها بحوادث ما قبلها وما بعدها ، فلا يمكن أبدا تصور حادثة من دون مقدمات أدت لنشوئها ونتائج ستكون مقدمات لحادثة أخرى ، ربما تختلف عنها من حيث البناء والهوية ، إلا أن لها جذور اتصال تأريخي وهكذا ، ففي الوقت الذي يستعرض فيه النص القرآني الحوادث الأممية المصيرية للعبرة والموعظة في الوقت ذاته يضع المنهجية الحاكمة لحركة التأريخ ،قال تعالى : **( وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذاقَهَا اللهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ )٢١** ، فسلوك الأمة وفاعليتها تجاه الرسالة السماوية هو الذي يحدد وفق المنطق القرآني هوية الأمة التاريخي ومستوى بقائها على المسرح الحضاري ، فهؤلاء أهل قرية ( كان لهم نهر يقال له البليان وكانت بلادهم خصبة كثيرة الخير وكانوا يستنجون بالعجين ويقولون هو ألين لنا فكفروا بأنعم الله واستخفوا بنعمة الله فحبس الله عليهم البليان فجدبوا حتى أحوجهم الله إلى ما كانوا يستنجون به حتى كانوا يتقاسمون عليه )٢٢ ، فالسيئة أو الذنب أو التجاوز على حدود الله تعالى له انعكاساته في حركة التأريخ ، وهذه الفلسفة التحليلية لحركة التأريخ مما تفرد به القرآن الكريم ، قال تعالى : **( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِه فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً ❖ فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً )٢٣** ، فهذه الأمة التي ( تمردت وطغت واستكبرت عن إتباع أمر الله ومتابعة رسله)٢٤ تعرضت إلى ذلك الدمار الشامل بسبب ذلك السلوك ، ولكن الانعكاسات هذه في حدود النص القرآني لا تكون إلا بعد أن تستنفذ حركة الأنبياء " عليهم السلام " فاعليتها في الأمة ،وتقف تلك الأمة موقفا سلبيا من ذلك التحرك قال تعالى : **( وَتِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً )٢٥** ،

(يعني ميقاتا وأجلا ، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به )٢٦، بل وتعنى ان ( السنة الإلهية في الأمم الماضين الذين أهلكهم الله لما ظلموا كانت جارية على ذلك فكان الله يهلكهم ويجعل لمهلكهم موعدا)٢٧ ، فنهاية الأمم لا تكون وفق المنطق القرآني إلا بعد أن تصل الأمة إلى مرحلة كبيرة من الظلم والخطيئة مما يستوجب العذاب الإلهي بعدما تضمحل لديها قابلية الرجوع وتسقط في مستنقع الغرور وتتلاشى لديها موانع العذاب قال تعالى : ( **وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** )٢٨ أي أن ألله تعالى ( لا يعذب أحدا ما دام فيهم رسول الله "صلى الله عليه وآله" وما داموا يستغفرون )٢٩ ، ونحو ذلك ما روي عن عبد الله بن محمد الجعفي، ( عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : كان رسول الله "صلى الله عليه وآله" والاستغفار لكم حصنين حصينين من العذاب ، فمضى أكبر الحصنين وبقي الاستغفار فأكثروا منه فإنه ممحاة للذنوب)٣٠ ، وقد يفهم من بعض النصوص أن المقصود في قوله تعالى " **وَأَنْتَ فِيهِمْ** " ليس شخص الرسول "صلى الله عليه وآله" فقط بل من ينوبه في الدور الرسالي فقد ورد عن ( جابر بن يزيد الجعفي ، قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر "عليهما السلام" لأي شئ يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام ؟ فقال لبقاء العالم على صلاحه وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام قال الله عز وجل " **وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** "٣١ وقال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عز وجل طاعتهم بطاعته فقال " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** "٣٢ وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ولا يعصون وهم المؤيدون الموفقون المسددون بهم يرزق الله عباده وبهم تعمر بلاده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم يخرج بركات الأرض وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب ، لا يفارقهم روح القدس ولا

يفارقونه ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم )٣٣ ، وعلى هذا المنطق فأن الوجود الحركي أو الشخصي أو الاعتباري للنبي أو للإمام المفترض الطاعة بالإضافة إلى وجود مفهوم الاستغفار ، والذي يتعدى لقلقة اللسان ليدخل في صميم بناء الذات العقائدية المنتمية لحقيقة الرجوع لله تعالى ، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي "عليه صلوات الله" أنه قال لأحدهم حين قال بحضرته أستغفر الله ( ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفار درجة العليين . وهو اسم واقع على ستة معان : أولها الندم على ما مضى . والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا . والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة . والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها . والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد . والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله )٣٤ ، يعتبران الركيزتان الرئيسيتان في تفعيل قانون العذاب من عدمه ، والاستغفار كمفهوم عقائدي ووفق ما رسمه الإمام "عليه السلام" من منظومة متجانسة من الأعمال التي تدخل في صميم بناء الذات العائدة إلى الله تعالى لا يأخذ فاعليته في الأمة إلا بوجود نبي أو إمام مفترض الطاعة أو من ينوبه على مستوى الإصلاح ليوقظ الضمير ويوسع مساحة المعرفة ويثور العقل الباحث عن الحقيقة في ظلمات الجهل ، ومن ثم يحدد للأمة مسؤولياتها ويعين الناس على تنفيذ ( وظائفهم في شتى الظروف ليتعرفوا على القيم الإنسانية الأصلية وعلى وظائفهم و تكاليفهم في مجال عبادة الله وفي حياتهم الشخصية والفردية أو تجاه بني نوعهم وسائر المخلوقات حتى يمكنهم – من خلال ممارستها – الوصول إلى كمالهم وسعادتهم الحقيقية الأبدية )٣٥ ، وعلى هذا وجدت النبوة والتي يتلخص دورها في إخراج الإنسان من عالم الظلمات إلى عالم النور، قال تعالى : **( هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ )٣٦** ، أي يخرجكم بفضله ورحمته (من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ونور قلوبكم بالمعرفة ويقال معناه

ليثبتكم على الإيمان ويمنعكم عن الكفر)٣٧ ، فالنص يحدد الإطار العام لمفهوم الصراع التاريخي في كل مستوياته بدأ من الذات وانتهاء بصراع الأمة ، فهو يشير( إلى أن عملية التغيير الجذري التي يعبر عنها بعملية الخروج من أحد القطبين المتناقضين إلى القطب الأخر " النور والظلمات")٣٨، قال تعالى : **( اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ )**٣٩ ، هذا النص يحدد ( محور أصول الظلمات ومحور أصول النور . فأما محور أصول الظلمة فهو "الطاغوت " الذي تقوم عليه أسس الظلمات والتي منها يخرج الإنسان إلى النور وأما المحور الأساس للنور فهو "الله " تبارك وتعالى )٤٠ ، وعلى هذا فمفهوم التأريخ في المنظور القرآني عبارة عن عملية صراع بين خطين ومنهجين ، وتحت وطأة ذلك الصراع تحدث عملية الخروج والدخول من وإلى عالمي الظلمات والنور ، وهذه العملية لا تحدث اعتباطا بل لابد من مقدمات وعمل مستمر من كلا الجانبين فعلى مستوى الخط الأول هناك الله تعالى ويرشح عنه مجتمع المؤمنين وهو مولاهم الذي يخرجهم من عالم الظلمات إلى النور بوسائل وأدوات مختلفة تكون على رأسها النبوة والإمامة ، أما الخط الثاني فهناك الطاغوت ويرشح عنه مجتمع الكافرين وهو يتكلف بإخراجهم من النور إلى الظلمات وبوسائل وأدوات تتناغم مع المرحلة ، ومن خلال ذلك التعاطي والتفاعل وضع القرآن الأسس التي يمكن أن نفهم من خلالها حركة التأريخ فهناك عالمين " النور ـ الظلمات " ولكل عالم قيادته وأتباعه ، " فالقيادة الإلهية "وأتباعها على ضوء التقسيم العقائدي هم" الشهداء ، الذين أمنوا ، الذين اتقوا ، الذين أنابوا لله ، الذين يعملون الصالحات ، ...." والقيادة الشيطانية وأتباعها هم الطاغوت والشياطين و، الكافرون ، الفاسقون ، الظالمون ، المجرمون ، .... " ولكل من المنهجين وسائله وأدواته الخاصة ، وكل ما يرشح عنهما من صراع وأدبيات يكون في منظار النص القرآني هو التأريخ وفلسفته هي القوانين التي تحكم ذلك الصراع ، ويستمر النص القرآني في تبيان حركة التأريخ فيبين حركة التنامي

القهري ، قال تعالى : : ( **اللهُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** )٤١ ، يقول لنا النص ، لقد ( كنتم في البداية ضعافا إلى درجة أنكم لم تكن لكم القدرة على طرد الذباب عنكم ، أو أن تحافظوا على لعاب أفواهكم أن يسيل ، هذا من الناحية الجسمية ، أما من الناحية الفكرية فمصداقه قوله تعالى : لا تعلمون شيئا بحيث لم تعرفوا حتى أبويكم المشفقين عليكم . لكن - قليلا قليلا - صرتم ذوي رشد وقوة ، وصار لكم جسم قوي ، وفكر جيد ، وعقل مقتدر إدراك واسع ! ومع هذه الحال لم تستطيعوا أن تحافظوا على هذه القوة)٤٢ ، وبقدر ما يشير النص إلى الحركة التعاقبية القهرية للإنسان في نموه المادي تراه يعكس تلك الحركة على واقع الأمة وحركتها في محيطها فكل حضارة في المنظور القرآني تمر بتلك المراحل الثلاث ، قال تعالى : : ( **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ**)٤٣ ، فدورة النبات محكومة بقانون التعاقبية " البداية والذروة ثم النهاية "من غير أن يكون لها دور ذاتي في تطورها بل تكون حركتها ونموها مستندة على المحيط وتفاعله معها ،على عكس حركة الإنسان العقائدية والتي تكون حركة ذاتية اختيارية يحيطها العذاب الشديد والمغفرة والرضوان الإلهي وهي المساحات الثلاثة التي لابد للإنسان من أن يقف بأحدهما أي كانت توجهاته ، والحياة الدنيا وفق المنظور القرآني هي حركة فاعلة وصيرورة شأنها شان النبات في حركته وصيرورته التعاقبية ،ولكن الاختلاف يكمن في صياغة الدور وفي حرية الاختيار تجاه المساحات المطروحة ، قال تعالى : ( **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً**)٤٤ ، هذه التعاقبية التاريخية بما تحمل من عوامل التغير والارتقاء والأفول نلمسها بوضوح في كلمات أمير المؤمنين علي "عليه السلام" وهو يضع لنا أساسيات فهم حركة التأريخ (لم يكن

امرؤ منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق في سرائها بطنا إلا منحته من ضرائها ظهرا . ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هتنت عليه مزنة بلاء . وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة )٤٥ ، ولا ريب أن الإمام علي "عليه السلام" حينما ينطلق في وضع هذه التعاقبية والصيرورة التاريخية فأنه ينطلق من مناخ القرآن فهو عدله وربيبه ، فالدنيا عند الإمام "عليه السلام" هي المحيط التاريخي بما يحمل من تعاقبية وصيرورة أوضحها النص القرآني بدرجة عالية ، وعلى هذا النحو من التعاقبية سارت حضارات عديدة أمثال ( بابل وأشور ومصر وشبه الجزيرة العربية ، وفي التاريخ أمثلة عديدة على أن موجات متماثلة لا نهاية لها من الحضارات الإنسانية قد قامت في الأزمنة الطويلة وارتقت رقيا عظيما وانتعشت في ظروف زاهرة على الحياة ثم انكمشت وتلاشت وصار سطح الزمن مرة أخرى في صحراء نائمة)٤٦ ، وهكذا يحرص النص القرآني على ضرورة تفهم حركة التاريخ بهذا المستوى من التعامل اليومي مع المحيط كما يحرص من وضع آليات الفهم المنطقي لفلسفة التأريخ من حيث دراسة القوانين والسنن التي تحدد لنا ذلك الفهم ، ولا شك أن النبوة وحركتها الفاعلة في الأمة تحدد ذلك المستوى الذي تكون فيه السنة التاريخية حاكمة للحدث التاريخي ، فالنص القرآني بين أن هناك مجموعة من القوانين تحكم الموضوع التاريخي وإنها واحدة في الأمة الأولى والأخيرة وإنها تشكل فيما بينها النظام الذي يحكم الحوادث التاريخية ، قال تعالى : **( سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً )**٤٧ **( سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً )**٤٨ ، هذه النصوص وغيرها من تلك النصوص القرآنية التي تظهر القانون التاريخي وفاعليته الحركية ( تقدم لنا استعراضها ، تؤكد على طابع الاستمرارية والاطراد أي طابع الموضوعية العلمية للسنة التاريخية ، وتستنكر هذه النصوص الشريفة كما تقدم في بعضها ، أن يكون هناك تفكير أو طمع لدى جماعة من الجماعات ، بان تكون مستثناة من سنة التاريخ)٤٩ ، بل أن الجميع يخضع لتلك الحاكمية ، كما يضع الإنسان أمام مسؤولياته التاريخية في صناعة الحاضر والمستقبل

ويضع الضوابط العملية لذلك ، وأولى هذه الضوابط هي مبدأ العلاقات المختلفة والتي تتصدرها علاقة الإنسان بربه والتي تكون بمثابة ( الأساس المتين الثابت لتحرره في علاقاته مع سائر الناس ومع كل أشياء الكون الطبيعية )٥٠ ، وتتصدر هذه العلاقة "الإنسان بربه "هيكلية القوانين الداعمة والمفسرة لحركة التأريخ ، فالحضارة التي ترشح عن حركة الإنسان المجردة من وجود الله تعالى لا تكون حضارة وفق التصنيف القرآني إلا بعد أن تنبع من مساحة علاقة الإنسان بالله تعالى، وحتى حينما يتحدث النص القرآني عن مشروع الانفتاح الحضاري على الأخر يضع تلك العلاقة ويجعلها المقياس المنطقي الذي يحدد هوية ذلك الانفتاح ، قال تعالى : **( يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )**٥١ ، قال تعالى : **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )**٥٢ ، فالتقوى ( هي حصيلة اجتماع الخوف والرجاء الشديدين المتوازنين في قلب المؤمن ، والعمل الدائب لخوفه ورجائه ، والحفاظ عليهما حتى تكون ملكة ثابتة في نفسه)٥٣ ، ومن الواضح أن النص القرآني يضع" التقوى" معيارا وشرطا لنجاح حركة الإنسان في محيطه والتي بموجبها تكون صناعة التأريخ وحركة الانفتاح ، فالرخاء الحضاري " **بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** " لا يكون إلا من خلال خط التقوى ، وكذلك التعارف ، فمن دون وجود ذلك المعيار يكون ذلك بمثابة ضرب من الخطيئة ، قال تعالى : **( وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ❖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً )**٥٤ ، فالتقوى على ضوء محددات النص ليست فكرة تكميلية أو هامشية في منظومة العلاقات تلك ، بل هي العمود الذي تستند عليه حركة الإنسان الحضاري في محيطه ، فالأمة التي تضج بها مبادئ التقوى سوف لن تقف عند نقطة حضارية وستستمر في مسيرتها ولن تواجه أي أزمة تؤدي إلى انهيارها وسيجد الله تعالى له مخرجا ،، وثمة فرق بين علاقة الإنسان بربه ذات النزعة المرحلية التي تحددها الحاجة أو الأزمة وبين العلاقة

العقائدية التي تنبع من القلب وتفيض على السلوك، قال تعالى : وهو يصف تلك العلاقات الاضطرارية ( **وَإِذا مَسَّ الإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ** )٥٥ ، وقوله تعالى : ( **وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الإِنْسانُ كَفُوراً** )٥٦ ، والنصوص التي تتحدث عن تلك العلاقة الذاتية المرحلية( كثيرة ، وكلها تدل على أن التوجه إلى الله تعالى في حال الشدة والاضطرار أصيل في فطرة الإنسان وطبيعي في وجوده)٥٧ ، بل وحتى الطغاة ( وكم سطر التأريخ أن كلمة " إلهي ارحمني" هي آخر ما نطق به مستكبروا الدهور ، وعتاة البشرية ، ومتحللوا الأخلاق ، بل وقادة الإلحاد )٥٨ ، ويمكن أن نلمس أعماق هذه العلاقة وأسرارها الذاتية في معرض جواب الإمام الصادق عليه السلام حين طلب أحدهم أن يدله على الله تعالى ( فقال له : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال : نعم قال : فهل كُسِرَ بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك ؟ قال : نعم قال : فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟ فقال نعم ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشئ هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث )٥٩ ، وخير مثال على تلك العودة الاضطرارية وإثارة العلاقة الفطرية الكامنة في الذات بشكل عفوي هو ما قاله فرعون في لحظاته الأخيرة ، قال تعالى : ( **وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)٦٠ ، ومن البديهي القول :( أن مثل هذا الإيمان الذي يتجلى عند نزول البلاء ونشوب أظفار الموت ، إيمان اضطراري يتشبث به كل جان ومجرم ومذنب وليست له أية قيمة ، أو يكون دليلا على حسن نيته أو صدق قوله )٦١ ، والأدب العربي لم يخلوا من تدوين فكرة الرجوع والعودة بعد ذهاب وقتها ومن ذلك البيت المشهور " دنت وظلال الموت بيني وبينها ❖ وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل "٦٢ ، أما العلاقة العقائدية المصيرية بين الإنسان وربه فهي لا

تهتز تحت أي ظرف ، قال تعالى : ( **الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** )٦٣ ، إذن فالقرآن يضع لنا تصورا جديدا لفهم حركة التأريخ عبر تحريك مفهوم التقوى وتفعيل خط الطاعة الكامن في علاقة الإنسان بربه داخل الأمة ، حيث يجعل منه قانونا يحدد هويتها ومستوى بقائها على مسرح الحياة ، قال تعالى : ( **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)٦٤ ، فكل بناء في المنظور القرآني أي كان نوعه وامتداده إذا لم يحمل بين طياته مبادئ التقوى سينهار ويتلاشى ويتهاوى وستكون نهايته مأساوية ، ولكن كيف تتحرك التقوى في ضمير الأمة لتجتاز بها مخاطر الانهيار؟.

يحدد الإمام الصادق "عليه السلام" أبعاد تلك الحركة ( التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى بالله وترك الخلاف فضلا عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص وتقوى من الله تعالى وهو ترك الشبهات ، فضلا عن الحرام وتقوى الخاص وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام)٦٥ ، ولا شك أن هذا التقسيم يدخل في أغوار الذات الإنسانية ويستقصي حركتها نحو الله تعالى، ويبين انعكاسات حركة التقوى في المحيط بعدما تشع بها الذات ، فحوادث الانهيار الامي سواء كانت كونية أو غير كونية تكون انعكاس لسلوك الأمة وابتعادها عن خط التقوى ، وقد( جرى النوع الإنساني على طاعة الله سبحانه وسلوكه الطريق الذي يرتضيه يستتبع نزول الخيرات ، وانفتاح أبواب البركات ، وانحراف هذا النوع عن صراط العبودية ، وتماديه في الغي والضلالة وفساد النيات وشناعة الأعمال يوجب ظهور الفساد في البر والبحر وهلاك الأمم بفشو الظلم وارتفاع الأمن وبروز الحروب وسائر الشرور الراجعة إلى الإنسان وأعماله ، وكذا ظهور المصائب والحوادث المبيدة الكونية كالسيل والزلزلة والصاعقة والطوفان وغير ذلك)٦٦ ، قال تعالى : ( **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً**

**وَآثاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ )٦٧** ، فالتلاشي لم يكن بسبب خلل فني في منظومة التطور ، بل بسبب الذنوب والتي هي نقيض التقوى وعلى هذا يسير النص ليضع لنا خريطة منهجية في غاية الدقة ترسم لنا كيف يمكن لنا ان نتعقل حركة التأريخ وبعيدا عن الضجيج الفلسفي والفكري ، فالقرآن يضع لنا الأطر العامة لفهم حركة التأريخ ، ومن جوانب متعددة ، فهو لا يقف عند نقطة واحدة ، لنتأمل في ذلك التغير الجذر في التعامل على مستوى صناعة الأمة ، قال تعالى : **(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ )٦٨** ، يضعنا النص القرآني أمام أحد القوانين المهمة في فهم حركة للتأريخ ، ويظهر لنا بوضوح حركة الغيب ومستوى إندماجه في عملية صناعة الأمة وتحديد مستوى بقائها من عدمه ، (فالصعاب والمشاق والبلايا التي تصيب الأفراد إنما يفعلها الله بهم عسى أن ينتبهوا ، ويتركوا طغيانهم ، ويرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه ، وذلك لأن الناس ما داموا في الرخاء والرفاه فهم في غفلة وقلما يكون لديهم استعداد وقابلية لقبول الحق . أما عندما يتورطون في المحنة والبلاء ، يشرق نور فطرتهم وتوحيدهم ويتذكرون الله قهرا بلا اختيار ، وتستعد قلوبهم لقبول الحق)٦٩ ، وفي جانب أخر ، يضعنا النص القرآني أمام قانون أخر يختلف كليا عن ذلك القانون ، قال تعالى (**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ )٧٠** ، فهم لم يراجعوا أنفسهم بذلك العطاء ليعودوا إلى الله تعالى ولم يستذكروا ذلك النعيم ليشكروه ، فعذبهم ولم يبق منهم أحد٧١ ، قال تعالى : ( **أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ)٧٢** ،هنا يستعرض النص القرآني الأدوات التي لابد من توفرها لتتم عملية البناء الحضاري ، ويبين النص تلك العلاقة بين المقدرة على الاستمرار الحضاري " **يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**" وبين السبب في ذلك "**نورا**" وبين التلاشي والتخبط "**فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ منها**" ، وهو انعكاس عملي لتلك الأعمال والذنوب والخطايا

، وهكذا يمنح الإيمان ( رؤية وإدراكا جديدين ، يمنحه رؤية واضحة ويوسع من آفاق نظرته لتتجاوز إطار حياته المادية وجدران عالم المادة الضيق إلى عالم أرحب وأوسع)٧٣ ، وعلى ضوء ذلك يفرق النص القرآني بين حركة الإنسان الحي في محيطه "المتقي" وبين الميت "الكافر"، ومن أجل ترسيخ ذلك القانون التاريخي في محيط الأمة نرى النص القرآني يمزجه بأهم مشهد في حياة الأمة ، أنه مشهد المطر وخروج الزرع ، فهذا الامتزاج بين المشهد اليومي المألوف ثم نهايته وبين المشهد التاريخي للإنسان في حركته التعاقبية ووجوده هو ما يريد أن يؤكد عليه النص القرآني ، فكأنه يريد أن يُفَعِل عملية صعود فكري تأخذ الإنسان من هذه الدورة الحياتية البسيطة والتي قد تنتهي في غضون أشهر والتي يكون الإنسان جزء من منها إلى عملية فهم التأريخ والعوامل المؤثرة على حركته وأين يكمن وجوده المنطقي فيها ، قال تعالى : **( إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )**٧٤ ، إن الفهم الذي يبينه النص القرآني عن حركة التأريخ هو فهما جديدا لم يكن قد تعرض له أحد ، ولا يمكن استيعابه إلا بعد فهم السياقات التكميلية له ، فهو لا يدع مبدأ العلية بمفرده ولا حرية اختيار الإنسان في تفسير حركة التأريخ ، بل يجعل من حركة النبوة وخطوات الشيطان وسلوك الإنسان وحركته بينهما مبدأ لفهم التأريخ وفلسفته ، قال تعالى : **( لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ❖ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ❖ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ )**٧٥ أي ( أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما « جنتين ذواتي أكل خمط □ أي ثمر بشع فإن الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ )٧٦ ، وكل ذلك بسبب استخفافهم بحرمة الله تعالى وتعاليم الأنبياء " عليهم السلام

"، ولما لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى أرسل لهم الجرذ ( وهي الفارة الكبيرة - فكانت تقتلع الصخرة للتي لا يستقلها الرجال وترمي بها ، فلما رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد ، فما زال الجرذ يقلع الحجر حتى خربوا ذلك السد ، فلم يشعروا حتى غشيهم السيل وخرب بلادهم وقلع أشجارهم )٧٧ ، إذن وعلى ضوء نتائج القصة القرآنية يتضح لنا أن الفعل الإلهي يأتي في نهاية المطاف ليضع حدا لتجاوز الأمم وإقصاء هذه الحضارة أو تلك فهو يستند على مقاييس نتجت عن حركة النبوة في محيط الأمة وعن خطوات الشيطان في مساحة الذات ، فمفردة " **فَأَعْرَضُوا** " والتي على ضوئها تحرك الفعل الإلهي تبين دقة ذلك القانون التاريخي والمتمثل بمفردة " **فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ** " فلو لم يعرضوا لم يكن هناك سيل عرم يأخذ حضارتهم ، وبهذا المستوى من التصور العملي يضعنا النص القرآني أمام فهم دقيق لحركة التأريخ ومستويات حركة الأمة في محيطها ومدى تفاعلها مع المد الرسالي ، ومما تقدم يتبين لنا أن فلسفة التأريخ في المفهوم القرآني ما هي إلا حركة فاعلة لعوامل الحادثة التي تستند على معطيات لا تخرج من مساحتين ، مساحة الله تعالى وما يرشح عنها من سنن منظمة لحركة الإنسان والأمة عبر قنوات ربانية المنشأ ، ومساحة الشيطان وما يرشح عنه من خطوات ومخططات تهدف لتدمير الإنسان .

## قائمة المصادر والمراجع


١ ـ المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ، محمد تقي صباح اليزدي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم : ١٢/١

٢ ـ تفسير مسار التأريخ ، رأفت الشيخ : ٧

٣ـ التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الإسلام، محمد مهدي شمس الدين ، المطبعة والنشر : مؤسسة نهج البلاغة . : ٧

٤ ـ في رحاب القرآن ، محمد مهدي الأصفي ، المطبعة : مجمع أهل البيت ، الناشر :المشرق للثقافة والنشر ، ط٤ ،(١٤٣٠ه ـ ٢٠٠٩م النجف الأشرف) : ١١/١٠

٥ ـ تفسير مسار التاريخ ، رأفت الشيخ : ٢٢

٦ـ نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (ع) : ٣ / ٤١

٧ـ التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الإسلام ، محمد مهدي شمس الدين : ٢٧

٨- مجلة المنهاج ، رضا داوري ـ ترجمة علاء رضائي: عدد٩٦/٤١
٩ ـ ظ : اقتصادنا ، السيد محمد باقر الصدر : ٥٣
١٠ ـ المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ، محمد تقي صباح اليزدي : ٤١/١ .
١١ ـ المركسية والإسلام ، مصطفى محمود ، نشر : دار المعارف ـ مصر القاهرة : ١٦
١٢ ـ الخلافة المغتصبة ، إدريس الحسيني المغربي : ١١٣ ـ ١١٤ .
١٣- فدك في التاريخ ، السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠ه) ، تحقيق : عبد الجبار شرارة ، الناشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط١ (١٤١٥ه ـ ١٩٩٥ م ): ٤٦ – ٤٧ .
١٤ ـ التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الإسلام ، محمد مهدي شمس الدين : ٢١ – ٢٢
١٥ ـ ينظر : المجتمع الإنساني في القران الكريم ، محمد باقر الحكيم (١٤٢٥ه) ، نشر : مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، المطبعة ،العترة الطاهرة ، بلا ط ، (٢٠٠٦ النجف الأشرف) :٢٥١
١٦ ـ المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ، محمد تقي صباح اليزدي: ٨/١
١٧ ـ تفسير مسار التاريخ : ٢٢
١٨- نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون ، محمود إسماعيل :٩١
١٩ ـ فصلت : ٤٢
٢٠ ـ السنن التاريخية في القرآن ، محمد باقر الصدر( ت ١٩٧٩ ) ، إعادة صياغة عباراته محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، ط بلا ، (بيروت ـ ٢٠٠٥) :٦٩
٢١ ـ النحل : ١١٢
٢٢ ـ التفسير الصافي ، محسن الملقب بالفيض الكاشاني (١٠٩١ه) : صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، المطبعة : مؤسسة الهادي ، قم المقدسةالناشر : مكتبة الصدر ـ طهران ، ط٢ ، (١٤١٦ ه): ٣ / ١٥٩ .
٢٣- الطلاق : ٨-٩
٢٤ ـ تفسير ابن كثير ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ( ت٧٧٤هـ) ، دار المعرفة ، ط بلا ، ( بيروت-١٩٩٢): ٤ / ٤١٠
٢٥ ـ الكهف : ٥٩
٢٦- جامع البيان ، إبن جرير الطبري :١٥ /٣٣٤ – ٣٣٥
٢٧- تفسير الميزان – السيد الطباطبائي : ٢٨٤/١٣
٢٨- الأنفال : ٣٣
٢٩ ـ الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ٢ / ٢٤٩

٣٠ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤ه) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث ، المطبعة : مهر - قم ، الناشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة ، ط٢ ، (١١١٤ه قم ـ إيران): ١٦ /٦٨
٣١ـ الأنفال :٣٣
٣٢ـ النساء :٥٩
٣٣ ـ علل الشرائع ، أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١ه) ، تقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة : النجف الأشرف ، الناشر : المكتبة الحيدرية ، (١٣٨٥ه ـ ١٩٦٦م النجف الأشرف ـ العراق):١ / ١٢٣ - ١٢٤
٣٤ ـ نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام ، تحقيق صبحي الصالح:٤ /٩٧ - ٩٨
٣٥ـ نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية ، عبد الجواد الإبراهيمي : ١١٠
٣٦ ـ الحديد : ٩
٣٧ـ تفسير السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٨٣ه) ، تحقيق : الدكتور محمود مطرجي ، المطبعة والنشر : دار الفكر ، بلا ط (بيروت ـ لبنان):٣ /٦١
٣٨ـ علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم (ت١٤٢٥ه) ، المطبعة : مؤسسة الهادي ، الناشر : مجمع الفكر الإسلامي ، ط٣ ، (١٤١٧ ه قم ـ إيران): ٥٠
٣٩ البقرة : ٢٥٧
٤٠ـ تفسير سورة الحمد ، محمد باقر الحكيم (ت١٤٢٥ه) ، طباعة : شريعة قم ، نشر :مجمع الفكر الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٢٠ قم ـ إيران): ٧٧ - ٧٨
٤١ ـ الروم : ٥٤
٤٢ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٢ / ٣٦٨
٤٣ ـ الحديد : ٢٠
٤٤ ـ الكهف : ٤٥
٤٥ـ نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (عليه السلام): ١ / ٢١٧ـ ٢١٨
٤٦ ـ التفسير الديني للتاريخ ،محمود الشرقاوي : ٥٩/٢
٤٧ـ الأحزاب :٦٢
٤٨ ـ فاطر : ٤٣
٤٩ ـ السنن التاريخية في القران ، السيد محمد باقر الصدر : ٦٨
٥٠ ـ المدرسة الإسلامية ، السيد محمد باقر الصدر : ٩٢
٥١ ـ الحجرات : ١٣

٥٢ ـ الأعراف : ٩٦

٥٣ ـ كلمة التقوى ، الشيخ محمد أمين زين الدين : ٢ / ٣٣١ - ٣٣٢

٥٤ـ الطلاق ٢ـ٣

٥٥ ـ يونس : ١٢

٥٦ ـ الإسراء : ٦٧

٥٧ـ الدعاء حقيقته ـ آدابه ـ آثاره ، مركز الرسالة : ١٦ - ١٧

٥٨ ـ مبادئ عامة في أصول التدبر القرآني ، ضياء الدين زين الدين: ١٦٧/١

٥٩ـ التوحيد ، الصدوق :٢٣١

٦٠ ـ يونس :٩٠

٦١ ـ الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٦ /٢٦٤

٦٢ ـ البيت لامرئ القيس بن عابس الكندي وكان مغرما بأيام عثمان بامرأة من بجند وكانت لا تباكيه فيما يظهر له فلما حضرته الوفاة جاءته مسلمة في نسائها فقال ❖ أريتك إن مرت عليك جنازتي ❖ تلح بها أيدي طوال وترجع ❖ أما تتبعين الناس حتى تسلمي ❖ على رمس قبري كل ميت مودع فبكت ودنت منه فقال ❖ دنت وظلال الموت بيني وبينها ❖ وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل ❖ ألا لا يضر المرء طالت ديونه ❖ إذا وجبت حوباؤه الخلف والمطل ❖ ينظر : تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : ٩ / ٢٥٢ - ٢٥٣

٦٣ ـ ال عمران :١٧٣

٦٤ ـ التوبة : ١٠٩

٦٥ ـ مصباح الشريعة ، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام : ٣٨

٦٦ـ تفسير الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ط١ ، (١٤٣٠ه ـ ٢٠٠٩م ـ بغداد ـ العراق) : ٢ /١٨١

٦٧ ـ غافر : ٢١

٦٨ـ الأعراف :٩٤

٦٩ـ الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٧٦/٥

٧٠ ـ الأنعام :٤٤

٧١ ـ ظ : التفسير البنائي للقران الكريم ، محمود البستاني ،العتبة الرضوية المقدسة ، ط١ ، ١٤٢٢ه ، قم ـ إيران: ٤٣٣/١

٧٢ ـ الأنعام : ١٢٢

٧٣ ـ الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ٤ / ٢٧٥

٧٤ ـ يونس : ٢٤

٧٥ ـ سبأ : ١٥-١٧

٧٦ ـ أبي السعود،أبو السعود : ٣٩/٢ سوريا- دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م: ٧ /١٢٨

٧٧ـ مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي ،(ت١٠٨٥هـ) ، مكتب النشر والثقافة الإسلامية ، ط٢ ،( ١٤٠٨): ٢ /٣١٦